

دلالة تعدد الراوي في رواية البحث عن وليد مسعود

لجبرا إبراهيم جبرا

د / خنير عيسى

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت

الملخص :

روايات جبرا إبراهيم جبرا من النماذج الروائية المتأصلة في الكلاسيكية ، وتشكل طابعا فنيا متميزا بلغتها وأسلوبها ومشاهدها وأفقها ، وقد استطاعت الرواية معه أن تقفز عن واقعها الكلاسيكي اللغوي والسردى في التعاطي مع الحدث الروائي ، لتكون ممرحة شأن الرواية المنولوجية ؛ لأنه بإمكان الرواية عبر المنولوج أن تقدم لنا نصوصا متعددة الأصوات ، على نحو الرواية البوليفية ، فقد استطاع جبرا إبراهيم جبرا أن يمارس الهذيان الواعي في رواياته ومنها رواية : البحث عن وليد مسعود .

وتتحرك رواية " البحث عن وليد مسعود " بين فصول أو مشاهد ، يتخلل كل فصل راوي أو مجموعة من الأصوات تتحدث عن " وليد مسعود " ليكون الفصل الأخير يروي " وليد مسعود عن نفسه ، فهي مشاهد تختزل شخصية حازت نصيبا من الاعتراف بها والهوس بحياتها المتشابكة التي لا تكاد تستقر على خيط ومسار واضح ، فوليد مسعود مواطن من الدرجة الثانية ، ومناضل فلسطيني ، وباختفائه المفاجئ ، تتعدد الأصوات الكاشفة عن سبب الاختفاء أو المعبرة عن حيرتها من هذا الاختفاء ، وهذا ما سنحاول أن نبيّنه في هذه الورقة البحثية عن تعدد الرواة في الرواية ، لأنها تعبر عن حالة سردية تتميز بها الرواية ، يختفي الراوي وتتكشف أصوات تتلبسه سرديا.

الكلمات المفتاحية: جبرا إبراهيم جبرا، تعدد أصوات الراوي ، السرد، وليد مسعود، فلسطين.

Abstract :

Jabra Ibrahim Jabra's novels its one of the classic models, Its have a distinctive artistic character in its language, style, scenes and horizons. and narrative reality in dealing with the narrative event, to be a dramatization of the novel of theology; because the novel through the monologue can provide us with a multi-text Voices, in the Bolivian novel, Jabra Ibrahim Jabra was able to play a conscious delirium in his novels, including the novel: The Search for Walid Massoud.

This is what we will try to show in this paper about the multiplicity of narrators in the novel, because it expresses the state of narrative characterized by the novel, the narrator disappears and reveal voices clothed serially.

Keywords: Jabra Ibrahim Jabra, Voices of Narrator, Narration, Walid Massoud, Palestine.

جبرا إبراهيم جبرا والرواية الجديدة NOUVEAU ROMAN :

يشكل مفهوم الرواية الجديدة مفهوما جديدا لدى النقاد والروائيين ، فهو قطيعة مع الرواية التاريخية والبوليسية والعائلية ، وقد عدّ إبراهيم عبد الله جبرا إبراهيم جبرا من النماذج الروائيين المعبرة عن حركة التجديد السردى؛ لأنّ عالمه الروائي تشكل وسط عالم شبه متفكك يفتقر إلى القيم الكلية ، وقد ضربه الشك في صميمه ، فكان له موقف إيديولوجي لا يوقر شيئا ولا يقدر قيما (1). ، والرواية الجديدة بما تحمله من فلسفة روائية ؛ لأنها تبحث عن ما هو مكوّن لتفاصيل الحياة الدقيقة لدى الإنسان « رواية تنوخي المسكوت عنه في اللغة المتداولة

وترفض التقنيات السردية الكلاسيكية ، استغنت عن الراوي الكلي المعرفة ، عن الشخصية والحبكة، حطمت التسلسل الزمني ، أرست استعادت الفقرات الملحة والوصف الدقيق للأشياء ، كما اتجهت من الوهم المرجعي لتسأل اللغة كي تعبر عن قلق الإنسان ، في عالم لم يعد يستطيع الزعم بأنه يسيطر عليه «(2) ، وتظهر ملامح الرواية الجديدة لدى جبرا من خلال تلك الشخصيات التي يرسمها في رواياته ، فهي من العمق الإنساني ، لا تتقيد بالحيّز الجغرافي وإن كانت تنطلق منه لتثبت عمق إنسانيتها وتنخرط في الواقع الاجتماعي والفلسفي والقيمي للإنسان ، هذا الأخير لباحث عن الخلاص نتيجة لتراكمات ايديولوجية وغيرها من المرجعيات الثقافية التي نهل منها الإنسان العربي ، لذلك كانت رواية " البحث عن وليد مسعود " رحلة للكشف عن باطن هذا الانسان العربي المتخفي تحت ظلال هذه الترسبات .

مدخل إلى الرواية :

رواية البحث عن وليد مسعود رواية متشعبة لا بتعدد شخصياتها ولكن بزئبقية بطلها الذي هو الحاضر الغائب في الرواية بين الشخصيات وتتنوع الشخصيات التي تتحدث عن وليد مسعود، من الرجال والنساء، يختفي وليد مسعود في ظروف غامضة، تاركا من وراءه أثرا ماديا يثبت وجوده أو أثر خطاب لغوي، يمثله ذلك التسجيل الصوتي في شريط " كاسيت " على أطراف الحدود ، فهو الفلسطيني من الشتات يجوب الأصقاع يستقرّ بالعراق، يعمل ويكد ليس متطفلا على أحد، هو الدأب الفلسطيني المثقف الذي يغني الآخرين، لقد تعلم من الحياة وعلمته الحياة وأعطاه أكثر مما تستحق، وتظهر ملامح وليد مسعود وطيفه من خلال تلك المشاهد السردية ، فيكون الخطاب المسجل أو الرسالة الصوتية المسجلة تفكيك لحياة وليد مسعود التي يشوبها الكثير من الغموض والضبابية ، وهذا التفكيك يتوزع بين مجموعة من الأصوات التي كانت قريبة منه أو عرفته عن قرب ، فتحاول إعادة ترميم شخصية وليد مسعود الغائبة والمنتظرة في نفس الوقت حضورها ، فتشكلت شخصية وليد مسعود بوصفها بؤرة السرد، فهو الوطن وهو الاغتراب، وهو الحضور وهو العدم، وهو المكان وهو الفراغ، وهو الصمود وهو الخذلان، فهو الفلسطيني والعربي والإنسان، ممّا جعل شخصية وليد مسعود ليست طرفا محايدا لدى كل من حاول أن يتحسس شخصية فلسطيني مثقف يعيش الشتات ويتحداه، ويبحث عن طريقه دون مساعدة أحد .

البنية الدلالية لعنوان الرواية :

عنوان الرواية كما هو معلوم " البحث عن وليد مسعود " فتكون كلمة " البحث " هذا التركيب الاسمي يحيل إلى التعدد والتنوع والتفتيح والجري والكشف والتحرّي ، فالرواية لا تختزل العنوان وتحاصره في مدلوله الضيق ولا تنطلق من وراء الكشف عن مجهول ليتم العثور عليه أو الاخفاق في الوصول إلى حقيقته وإنما هو البحث عن الذات التي تتوزع بين الكثير من القضايا والنزاعات والصراعات والأهواء ، فوليد مسعود الشخصية المبحوث عنها من لدن مجموعة من الرواة ، أو الأصوات المتعددة في الرواية ، شخصية تتفكك وتلغز بين هؤلاء الساردين في محاولة للقبض عنها ، وفق تلك المعاشرة باسترجاع الذاكرة لذلك الماضي واستشراف الحاضر ،

مجموعة من الرواة ← البحث ← وليد مسعود

شخصية وليد مسعود شخصية مركبة لذلك تنازعت حولها مجموعة من الأصوات لتسمع عنها وتعلنها ، فيطرح العنوان عدة تساؤلات عن حضور " وليد " وغيابه ، أو فقده ، والسر الحقيقي في ذلك الاختفاء ؛ ليصبح البحث عن مكان " وليد " الغائب ، وعن إمكانية حضوره في حياة

المحيطين به ، وعن شخصيته ، ودوره ، وعودته وظهوره للسطح مرة أخرى . (3) ، فدلالة العنوان من العتبات الرئيسية التي تشير إلى تحليله وتأويله و« يشكل العنوان في الكتابة البوابة أو العتبة الأولى التي يلج منها القارئ إلى النص ، وهو يمثل إلى جانب اسم الكاتب ملحقاً بالنص Paratexte ويقوم العنوان في هذا المجال بعدة وظائف ، يذكر منها " جيرار جينيت " على الأقل ثلاثة : تحديد العمل ، الإشارة إلى مضمونه ، وكذا تقويمه »(4) ، وللعنوان في الرواية مركبان وهما : البحث + وليد مسعود وبينهما المركب الحرفي " عن " ليدل على المخصوص بالبحث وهو وليد مسعود « فالرواية تعلن منذ البداية عن حالة اختفاء غير عادية ، استدعت هذه الحالة من الاستنفار للبحث ، كما يؤشر المكون الأول إلى مكانة المختفي وأهميته ، فأين ومتى ولماذا اختفى ؟ ومن هو هذا الشخص المهم الذي يجب البحث عنه وما ميزاته التي جعلته خاصاً يستحق عناء البحث ؟ كما أنّ عملية البحث يقوم بها أشخاص ، فمن هم هؤلاء الباحثون ؟ وما علاقتهم بالمفقود ؟ وهل أفلحوا بالعثور عليه؟ وما الوسائل التي يبحثون بواسطتها وفي أي المواقع يبحثون ؟ وبالتالي أين حصتنا التي الرواية للمشاركة بالبحث عنه .» (5) ، أما المكون الاسمي العلمي الثاني فهو وليد مسعود « تجعلنا على معرفة بالمفقود ، من خلال العملية في الاسم ، ليدل على الشخص المختفي ويعينه ، ولكن يترك ، أهميته للنص ، ولكن الاسم فيه إحياء أبعد من العلمية ويمكن أن يطلق الاسم تداعيات ذهنية ، تقود للقول إنّ وليد هو الإنسان فكل إنسان وليد ، ثم هو مسعود ، فهل كان هذا الوليد سعيداً .. ويركب المكونات الحديث والعلمي العنوان الروائي ، ويحقق هذا العنوان وظيفة الاغواء من استثمار تلك الرغبة الكامنة في المتلقي لكشف غموض الأشياء والأحداث والأشخاص »(6) ، فشخصية وليد مسعود المُشكلة للسرد هي ذكريات تمثل مرحلة تاريخية مجزئة بين الرواة ، هذه المرحلة تعصف بالأحداث وبالشخصيات التي تعود بالزمن وتسترجعه مع اختلاف منابع زمن الرواية .

الراوي في رواية البحث عن وليد مسعود :

إن تصدع البنية السردية في رواية " البحث عن وليد مسعود " يضيف طابع التعددية فيصبح الراوي " هو الوساطة بين العالم والممثل والقارئ ، وبين القارئ والمؤلف الواقعي ، فهو العون السردية الذي يعهد إليه المؤلف بسرد الحكاية " (7) ، ولباختين قصب السبق في توجيه هذا النوع من الروايات ؛ إذ يرى بأن دستوفسكي الروائي الروسي هو خالق الروايات المتعددة الأصوات من خلال الحوارات المتبادلة بين الشخصيات المختلفة في رؤاها وفكرها (8) ، وهكذا تتمظهر شخصيات رواية " البحث عن وليد مسعود " فجواد حسني يعرف على أنه دكتور ، إذن له نصيب من المعرفة والوعي ، فهو طبيب وتصحب الكتابة عن وليد مسعود همه الأوح وقضيته المركزية ، ويشكل الغموض شخصيته وإن كنا نلتقي به في جميع صفحات الرواية ويكون هو السارد أو الصوت الروائي الأول المقدم لتعريف بهوية بطل الرواية " وليد مسعود " باسترجاع خطاب لهذا الأخير ، وحتى جواد حسني الذي يعرف وليد مسعود منذ عشرين سنة ، يجد نفسه يجهل الكثير من ماضي صديقه وليد مسعود ، ويرغب في البحث عن هذا الماضي ، ويتتبع كهوفه المظلمة ، الغارقة في الألغاز ، « ويلاحظ أن منظور الراوي هو الذي يسود هنا ، وليس منظور الشخصية وذلك لسبب واضح ، هو أن الوضع النحوي الذي يجمع بين المسترجع »(9) ، " الأنا و " هو " أو بين " كان " ، ويستعين كذلك بالحوار ، للكشف عن شخصية وليد مسعود ، فهي شخصية مجهولة من الداخل ومعلومة الملامح والمظهر ومع جواد حسني نتعرف على جوانب من طبيعة وليد مسعود وإنّ « المنظور الذي يقدمه جواد حسني لشخصية وليد مسعود هو منظور إيجابي يسعى إلى التأكيد على نموذجية هذه الشخصية

وفاعليتها في الممارستين الفلسطينية والعربية ، وكذلك على إثرها في عالمي الفكر والمال في الآن نفسه»⁽¹⁰⁾ ، أما الدكتور " طارق " الطبيب النفسي فهو ينخرط في دراسة كبيرة عن وليد مسعود ، يدرس برجه وهو الجدي ، فيستعيد عبارة أحد العلماء القدامى " فيرميكوس " باللغة اللاتينية : إنّ الذين يولدون وبرج الجدي في صعود ، يكون لهم مظهر خدّاع ، يخفي حقيقة شخصيتهم ، وجوههم رصينة ، ولحاهم طويلة ، وجباههم عريضة عنيدة ، وما ذلك كله إلا زيف وخداع . لأن من طبيعتهم الحقيقية أن يكونوا ماجنين خلعاء ، تفترسهم لوااعج الشبق ، وتلتهمهم نيران الحب ، وكثيرا ما يقعون ضحية شهواتهم الشريرة إلى قتل أنفسهم .. " ويعلق الدكتور طارق على ذلك أنّها صورة ، ولو كاركاتورية بعض الشيء ، لوليد مسعود ⁽¹¹⁾

تفكك شخصية وليد مسعود بين الرواة :

في الرواية تتفكك شخصية البطل الغائب الحاضر وتخرج من شبكة التسلسل الحدثي ، فهي حاضرة بالاستحضار والاسترجاع فهي الشخصية المهيمنة في سرد الرواة والشخصية الهاربة من الوجود السردي المبحوث عنها في تفاصيل مخيِّلة وذاكرة من عرفوه وصاحبوه وعاشروه ويتابعوه خطاه من بعيد بإعادة وجوده من منظور الاعتراف الشخصي ، فشخصية البطل " وليد مسعود " تبنى من داخل الرواية ، تتفاعل وتتصهر وتتجلى ويتعذر فحصها لغويا لأنّها تقترب بضمير الغائب " هو " ، ويحضر الراوي في الرواية في أحد الفصول ، نتيجة لارتباط السرد بالماضي الذي تمثله هذه الشخصية ؛ لأنّ تكوين الشخصية تدرّج في الرواية.

رواية البحث عن وليد مسعود من الروايات السوسيو ثقافية الخاضعة لطبيعة السيرورة التاريخية ، وليست هذه السيرورة ضيقة إنما واسعة ، وذات إشكالية عالمية تهتم شرائح الشعوب الاجتماعية كافة ؛ إنها قضية فلسطين والتحديات الوجودية المحيطة بالفلسطيني ، وتتميز كذلك بكونها من الروايات التي استطاعت أن تستوعب حقبا تاريخية معقدة ، فهي تبنى زمنها الداخلي على أساس زمن خارجي ، وتعالج التحولات الفردية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع العربي ⁽¹²⁾ ، وإنّ الخلاف العاطفي والروحي الذي خلفه غياب " وليد مسعود " واختفائه جعل عملية البحث في تفاصيلها وتشابكها وتداخلها تبرز مدى فاجعة الغياب ويتم هؤلاء الباحثين ، فقد استطاعوا كذلك أن يعلنوا عن حجم المأساة التي حولتهم إياها حالة الاستنفار .

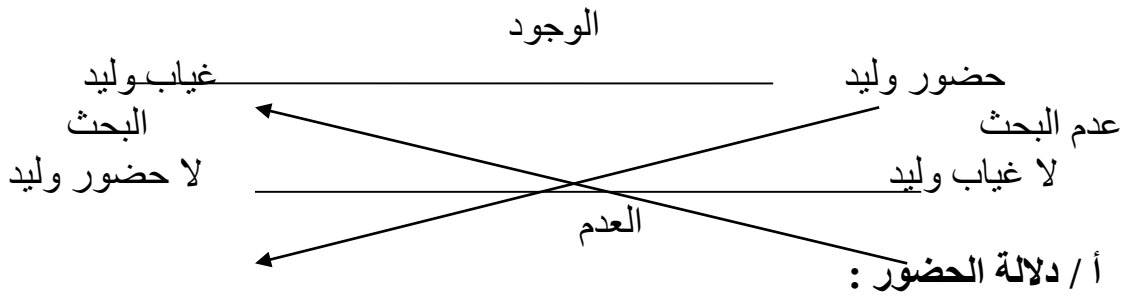
الاسطوانة والصوت :

يبدو استعمال الاسطوانة لدى الروائي جبر إبراهيم جبرا ، للعودة إلى الزمن ، وإلحاق من تركهم من ورائه به من خلال الشريط ، ليعودوا إلى الزمن الماضي ، فهو زمن بسيط ولكنه فيه من التعقيد لمن يلتفتون حوله ، باحثين عن مصائرهم قبل مصير " وليد مسعود " ، فالزمن يرتد وبعود مسجلا جزءا من التاريخ ، فبارت يتحدث عن الزمن وارتداداته اذ يقول : « الماضي البسيط يهدف إلى الحفاظ على تراثية ما داخل إمراطورية الأحداث وبواسطته يصبح الفعل ضمينا جزءا من سببية فيشترك في مجموعة الأعمال المتضامنة والموجهة ، ويعمل مثل علامة جبرية معبرة عن نيّة ، وبإلقائه على التباس بين الزمنية والسببية يؤدي إلى تلاحق الأحداث ، أي إلى إدراك المحكي وفهمه . لأجل ذلك يكون الماضي البسيط هو الأداة المثلى لجميع تركيبات العوالم. »⁽¹³⁾ ، فصوت وليد مسعود هو الانبعاث نحو الماضي ومعالجته ليعيد فتح الجراح ، وفتح آفاق الباحثين عنه في زحمة التنشيطي الحاصل بين الشخصيات ، و« لما كان السرد الروائي يشبه الموسيقى في أنه ينجز الزمن ، يملؤه بشكل مقبول يقيسه ويقسمه ويجعله ثمينا مسليا وحافلا بالأحداث ، فإن " وليد مسعود " يمثل وحدة لحنية لا تخلو أية تنويعا من تأثيراتها وذلك من خلال الايقاعات المتباينة واستخدام الأزمنة المتداخلة ، القطع والعودة

إلى الماضي ، وبروز الحاضر بتشعباته ، وما يربط كل ذلك من علاقات حيوية» (14) ،
فشخصية وليد مسعود تمثل الايقاع المتوازن بين الشخصيات المضطربة في فكرها الوجودي
، وتحاول أن تخلق التجانس بينهم ، تجانس الحضور والغياب لوليد مسعود .

دلالة الحضور والغياب في الرواية :

الحضور في الماضي والغياب في الحاضر إذ يرسم ذلك من العتبة النصية الأولى " البحث
عن وليد مسعود" ، كل ذلك يختزل الوجود وعدم الوجود والحضور وعدمه لوليد مسعود ،
فمضامين النص تنطلق من ثنائية تمنح البنية الدلالية القدرة على التوليد ، فالولوج للطرف
الأخر : الغياب يعني أن هناك ممرا وسطا لأبد من عبوره وهو اللاغياب والعودة للحضور
لأبد من عبور الحضور (15)



للحضور امتلاء بالوجود وبالمكان وبالقوة وبالحمية والتحصين ، فالحضور هو الوجود وهو
الحياة ، فوجود وليد لم يكن يحمل تشتتا وضياعا لدى هؤلاء المنكسرين بالغياب ، فهو حضور
الجمع من الشخصيات التي توزعت على التحليق نحو شخصية " وليد مسعود " الشخصية
الحدث أو الشخصية التي تمثل الحضور والغياب ، فالحضور كان بمثابة ارهاق لهؤلاء
الباحثين عن وليد مسعود ؛ لأنهم لم يكن لهم من القدرة على المواجهة أو التحدي لرجل اكتسب
قدرة الاختراق لنفوسهم وأرواحهم المشتتة في تمزق فكري رهيب ، وها هي لحظة الاسترجاع
التي يمارسها هؤلاء الأصدقاء المتعطشين لوليد مسعود « عندما نتأمل شخصية وليد مسعود ،
فإننا نجد أنها نتاج حلم اليقظة ، يحمل في جوهره هذا الملمح الأساسي من ملامح التكوين
النفسي للطفل : كل شيء له كحق ثابت لا تجوز مناقشته ، أو الاعتراض عليه ، كل النساء
لوليد مسعود ومن يقترب منهن ينال ما يستحق من عقاب ، وسخرية ، ورفض ، حدث هذا
لإبراهيم وطارق وهشام ، وحتى كاظم الذي تزوج جنان التامر " احدى عشيقات وليد السابقات
، التي تخلى عنها " ، فإن زواجه يؤدي به إلى السقوط النهائي» (16) ، فالشخصيات الروائية
الباحثة عن وليد مسعود تبحث عن ذاتها ؛ لأنه ساكن في عمقها وفي وجدانها ، فهي ورغم
غيابه يمثل حاضرها وفاعلا في عقولها لحد الإستيلاء رجالا ونساء (17)

ب / دلالة الغياب :

الغياب اختفاء وفراغ وحيرة وتساؤل ، فغياب وليد مسعود أحدث رجة عميقة في وجود من
كان يعاشرهم أو من تعامل معهم ، ومن كانوا يعرفونه ، فهذا الفراغ أحدث يقظة لدى هؤلاء
وكأن الناس كانت نياما وبفقدان وليد مسعود استيقظتهم على مدى العمق الفراغ الوجودي الذي
تركه وليد مسعود ، فهل كان اختفاء وليد مسعود للتضليل ليتحرك بحرية فقد أصبح حديث من
عرفوه وحين اختفى وليد تظهر حقيقة وهي « كل من عرف وليد نسي همومه الخاصة ،
وظروفه ، ومشاغله ، وأصبح وليد هو الهم والشاغل والحياة كلها .الشعار الذي يرفعه الجميع
: حياتنا من أجل وليد . هناك نساء فانتات لا يفكرن في شيء إلا في جسد وليد ، حضور وليد
الرجال كلهم ، تقريبا مشغولون بتأليف كتب عن وليد ؛ وكذلك وصال ومريم الصقار . الجميع

ذوات مستقلة ، حيوات ملقاة ، عند أقدام وليد : الدكتور طارق لا يمانع كثيرا في أن تكون أخته ، بنت الوزير السابق ، واحدة من عشيقات وليد ، ووصال لا تمانع حين تغيب عنه بعض ساعات ، أن يقيم علاقة جنسية مع جنان التامر ، والاثنتان لا تمانعان في أن يكون على صلة بالأستاذة الجامعية الفاتنة مريم الصقار ليس عنده وقت يضيّعه «(18) ، انشغال الأصدقاء والمقربين وكل من كان على اتصال بوليد؛ لأنهم افتقدوا إلى شيء ما ، فكل منهم يشعر بفقدان شيء ما ، فقدان الجسد ، فقدان العقل ، فقدان الفكر ، فقدان النشوة .

دلالة البحث عن الذات :

تقدم الرواية والرواية العربية الجديدة بصفة عامة نموذجا لحالات البحث عن الذات ، هذه الذات التي يأتي انكشافها من طموحها الدائم ، لتصوير الواقع وهي تحاول النقاط الشخصية واستنطاقها ودفعها للتحرك داخل شبكة العلاقات الاجتماعية أما اغترابها فهو وليد معاناتها الشكلية(19) ، وقد « كان وليد يبحث دائما عن ذلك التوازن الذي تحدث عنه طوال حياته ، ولم يجده قط ، كان يقول أن التوازن كلمة تقريبية ، ولكنها تفي بالغرض ، قبل أن يخوض المرء في التفاصيل ، في عالم من الرعب ، والقتل ، والجوع ، والكرهية ، كيف تجد توازنك الذهني أو النفسي أو الجسدي أو الاجتماعي — سمّه ما شئت — دون أن تشعر بأنك تقف من الانسانية على طرف بعيد ؟ كيف تكون إنسانيا ، وتتخطى المشاكل الانسانية ؟ التوازن بالطبع كان سرا ، يغري ولكنه لا يخدع طويلا .» (20) ، فهذا الاضطراب الذي أعلن عنه وليد مسعود ، قد لا نجد له تفسيرات إلا في تفاصيل ما تكشف عنه الرواية من حياة وليد مسعود ؛ لأنّ تفاصيل حياته المعقدة وشواهد الأحداث تخبر عمّا كان يؤرّقه ويؤلمه .

فوليد مسعود وإن كان حاضرا في ذاكرة هؤلاء الباحثين عنه فإنّه « ولا أحد يبحث عن وليد على أرض الواقع ، رغم العنوان العريض المخادع ، لكنهم كلهم يشرعون في البحث عنه في داخلهم ، وخلال عملية البحث ، تنكشف ذواتهم لنا ولهم ، عاربة محبطة ممزقة .» (21) ، فالغوص في البحث عن شخصية وليد مسعود بالنسبة لهؤلاء الباحثين هو غوص في أعماق الجراحات لتتكشف هذه النفوس وتتعرّى ، مبدية حقيقتها هي كذلك ، معلنة عن التبدد والتلاشي والضياع والانهازامية والغرق في الشبقية ؛ « تمنيت لو أن للذاكرة اكسيرا يعيد إليها كل ما حدث في تسلسله الزمني ، واقعة واقعة ، ويجسدها ألفاظا تنهال على الورق »(22) ، فالزمن عند المهوسين بوليد مسعود يتهاوى ، ولم يعد لهم سوى الذكريات التي يحملونها معهم نحوه ، فقد أصبح طيفا يتلاشى بين رؤاهم وأفكارهم .

دلالة البحث عن الهوية :

البحث عن الهوية هو بحث عن الشخصية المفقودة ، عن التاريخ الضائع ، عن المقومات المكونة للإنسان ، عن الروح المسلوبة من الحياة ، فوليد مسعود الهارب والمتخفي والظاهر والمعلن والمدهش قد لا يكون سوى الفردوس المفقود للوطن المسلوب فإنّ وليد مسعود هو متاهة العمق الوطني للأمة « ما من حكومة عربية إلا وتصرخ بالوحدة وتضع في الوقت نفسه ألف حاجز بين قطرها والقطر العربي الآخر »(23) ، فالتبرم من الواقع العربي ومن التشتت العربي والحصار ، والشعارات الخرساء ، هو إذعان في القهر السياسي الذي تعيشه الأمة وهي تمارس النفاق الوجداني ، فيبرز الفقد وعدم المواجهة سبيل البطل وشخصيات الرواية المحاطة به في ارتباك كبيرين اتجاه ما يفعلونه نحو كشف هويتهم الفكرية والسياسية والثقافية وحتى الروحية ، فشخصيات الرواية تتشارك في هموم متشابكة لحد التشابه ، فكان وليد مسعود هو طريق الخلاص بالنسبة إليهم .

الدلالة الأسطورية :

تظهر شخصية وليد مسعود في بداية فصولها « فجاد حسني يرغب في تقديم صورتين لوليد مسعود؛ صورة المقاتل الأسطوري الذي ظهر بعد اختفاء في رواية وصال رؤوف، وصورة المبدع الذي يجسد حيوات أخرى وأشخاصا متباينين بحيث تشكل شخصية وليد صهرا للذوات الأخرى بجمعها بين تناقضات هذه الشخصيات»⁽²⁴⁾ ، ولعلها تتجسد في تلك الشخصيات التي كانت قريبة منه في حضوره أو بعيدة عنه فهي التي شكلته في مخيلتها ، وأعطته هذا التعالي الأسطوري ، وخلقته خلقا أبديا فقد سيطر على كل شيء ، وقد « توهم بنأيها عمّا هو سياسي فإنّها ألصق ما تكون بهذه السمة ، أي بما يعبر عن المرجعية السياسية للنزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة ، بل عمّا يعبر عن توسل هذه الرواية بما هو أسطوري لمقاربة ما هو سياسي ، فكما يبدو اختفاء وليد مسعود تعبيراً عن رغبته بمواجهة الموت بالموت يبدو في الوقت نفسه ، تعبيراً عن برمه بالواقع السياسي العربي الذي قاد إلى النكبة الفلسطينية ثم إلى الهزيمة الحزيرية ، والذي كانت تصوغه سلطات سياسية مولعة بإنتاج شعارات خرساء لا رصيدها في الواقع»⁽²⁵⁾ ، تعصف تفسيرات البحث بحقيقة وليد مسعود وبعملية البحث عنه ، فيصبح شخصية غامضة يكتنفها ضبابية بعيدة عن وجودها الحقيقي ، فيلجأ الطبيب النفسي " طارق رؤوف " إلى الربط بين صفات وليد مسعود وبرج الجدي « إنّ الذين يولدون والبرج الجدي في صعود يكون لهم مظهر خداع يخفي حقيقة شخصيتهم ؛ لأنّ من طبيعتهم الشخصية أن يكونوا مجانيين خلعاء ، تفترسهم لواعج الشبق»⁽²⁶⁾ ، فهذا الغياب يمنح الكثير من التأويل والتفسيرات الغيبية عن شخصية وليد مسعود فهو على تعبير أحد الذين صحبهم " كأته عائد من زيارة بطل أسطوري "

إنّ وقائع وأحداث الرواية جعلت من وليد مسعود الغائب بطلا فلسطينيا أسطوريا فهو يدخل إلى فلسطين المحتلة ولم يكن له من التدريب العسكري والاحتراف العمل العسكري ما يؤهله ليقوم بأعمال فدائية بالشكل الذي يتحدث عنه أولئك المخبرين عنه ، فهو يذبح اليهود ذبح الخراف ويذرع فلسطين طولا وعرضا ويقتل حتى يشفي غليله ثم يخرج إلى حفلاته وعشيقاته

دلالة وحدة الرؤيا بين الرواة :

إنّ التكوين الإيديولوجي المتشعب لدى شخصيات رواية " البحث عن وليد مسعود " هو تكوين أحادي ، حتى وإن تبدت الأسماء وتناثرت الفكرة بينهم فإنهم يمثلون الوعي الحقيقي بالغياب والشعور به ، فهم لا يختلفون في القضية التي هدت كيانه المنهار بل جعلتهم يتماسكون نحو البحث عن المفقود الذي يشكل وجودهم وانتماؤهم ، فغياب وليد مسعود هو غيابهم عن الحياة وعن الوجود والبحث عنه ضرورة لإعادة ترسيخ التماسك و« إنّ الرواة المتعددين في الرواية لا يقدمون ، روايات متغايرة بل يقدمون رواية واحدة يتبادلون سرد فصولها بإجماع شبه أكيد على المعلومات والتفاصيل المتعلقة بحياة وليد مسعود .»⁽²⁷⁾ ، هذه الحياة التي تبدو تفاصيلها متفرقة بين الرواة أو بين أصدقاء وليد مسعود القريبين والبعيدين عنه ، تدل على رؤية واحدة بينهم العثور على وليد، لأنّه يشكل الخلاص الذي يبحثون عنه .

« إنّ مكونات المتن الروائي .تتناثر وتتشظى ولا تتضح مكوناتها إلا بعد إخضاعها لعملية ترتيب في ذهن المتلقي ويعزز جبرا سيادة تقنيات الكتابة التي تبعث على تشتيت الزمن ، كضمير المتكلم ، الذي يوجه السرد إلى الماضي وانطلاقا من الحاضر ، ويشئت جبرا الكتابة ليمعن في ذلك»⁽²⁸⁾ ، يتم استحضار الماضي من خلال هذه المكونات الصوتية التي تمثل

الحاضر باحثة في ماضي وليد مسعود ، « فعيسى ناصر يشهد ، وليد مسعود يتذكر ، الدكتور طارق رؤوف يتأمل ، مريم الصفار تتأمل ، وهكذا الاسم يعرف بالسارد في الفصل ، والفعل المضارع يشير إلى تواصل السرد وديمومته ، وهنا نطل على الحكاية من زوايا مختلفة ، ومن خلال وجهات نظر متباينة ، وكأن الراوي يترك ليتجول بكاميرته من زوايا مختلفة ، ومن أبعاد متباينة ليكشف لنا ما خفي من الحدث المركزي ، وما خفي من شخصية صاحبه ، ليقدّم لنا إحياء قويا بصدق وموضوعية ما يسرد ، ويدخلنا في المتاهة لنشارك في البحث عن وليد مسعود» (29) ،

وهذا التشتت بين الفصول مقصود لدى جبرا ، « فالفصل الرابع يغطي طفولة وليد مسعود وتجربته في التنسك عندما كان في الثانية عشرة من عمره ، في حين يشكل الفصل الأول بداية للبحث عن وليد مسعود وعن حقيقته بعد انتشار الاشاعات حول اختفائه والعثور على الشريط الذي تركه في سيارته ليلة اختفائه ، بينما يشكل الفصل الثاني عشر من الرواية فصلا أخير للرواية على كل المستويات إذ تتسع المسافة بينه وبين باقي الفصول ليحدد في نهايته مصائر المتكلمين ، وتشكل الفصول الرابع والسادس والثالث والثامن والعاشر ماضي الحكاية إذ تغطي فترات تاريخية تغور في عمق التاريخ لتنتهي في الفترة التي يختفي بعدها وليد مسعود ، وتشكل الفصول : الثاني والخامس والسابع والتاسع المناخ الذي أدى إلى اختفاء وليد مسعود» (30) ، فالرواية بتعدددهم وتنوعهم حاضرون شاهدون ينقلون بعض التفاصيل التي لم تستطع أن تحيط بمن يبحثون عنه ، فينتفون ويختلفون ، يتفقون على استحضر شخصية المبحوث عنه وليد مسعود ، ويختلفون في رسم حقيقته التي تظهر وكأنها زئبقية لا تكاد تستقر على حال ؛ والرواية تقدم شخصية مركزية تتقاطع عبرها الأصوات ووجهات النظر وتتكشف من خلالها باقي الشخصيات ، كما أنها تحتفظ بسر منذ البداية» (31)

الدلالة الأبوية :

تثير رواية وليد مسعود إشكالية المجتمع العربي الأبوي ، سلطة الأب ونفوذه ، لتتجاوز ديكتاتورية ترتسم معالمها من خلال بناء الرواية والأصوات التي تحمل صدى وظلال وليد مسعود ، فهي تجسد فيه شخصية النرجسي الذي لا يرى إلا ذاته ، ولا يسمع إلا صوته ولا تتراءى إلى صورته في سماء حياته ، فقد « رسمت لنا صورة كاملة لديكتاتور العالم الثالث ، من خلال شخصية وليد مسعود : الشخصية الأبوية الطاغية ، رفض الحوار وسماع رأي الآخر ، وضع آراء سطحية موضع التقديس واعتبار كل من يعترض عليه ، سيئ النية ، وعميلا لدولة أجنبية والإحساس بأن القدر — أو النجوم — في حالة وليد مسعود — هو الذي اختاره ، وحدد له الدور ، وأن القدر اختاره لأنه النسب وسط طيور قعيدة» (32) ، فخلق هذا الأب أو الديكتاتور بوعي أو بدون وعي ، فالكل أصبح لا يرى الخلاص إلا بروجوع وعودة وليد مسعود ، فهو الحاضر الغائب والغائب الحاضر ، فهو الثوري والثري والفيلسوف العبقري ، فهو يعطي ويمنع ويثور ويلين ويحب ويغضب ويسلب نساءه ويجعل منهن أدوات مسلوبة ، فالرواية تقدمه على أنه له طاقة جنسية وقدرته على إقناع مستمعيه وسلبهم روحيا وفكريا وجسديا .

خاتمة :

رواية " البحث عن وليد مسعود " رواية مغلوطة في عالم الواقع ، فيجد المتلقي نفسه أمام شريط سردي يختزل تشظي البطل بين الشخصيات الروائية ، وتحاول ان تعيد تركيبه ، فالرؤى المتعددة في الرواية تشكلت من تعدد الأصوات في الرواية مما جعلها تزخر بتنوع الدلالات

وكتافتها ، فالشخصيات تكشف عن نفسها من الاسترجاع وإعادة البعث من جديد ، وتتحدد دلالات تعدد الرواة الكاشفة عن مضامين شخصية وليد مسعود، البطل المحوري الذي يتم تفكيكه نفسيا واجتماعيا وسياسيا وإنسانيا .

إن رواية البحث عن وليد مسعود هي رواية من عمق الواقع العربي المتآكل في مختلف مجالاته وآفاقه فهي تلبس روح الثورة والهزيمة ، وروح العطاء والمنع ، وروح التحدي والخذلان ، رواية في دلالاتها المتعددة تكشف الواقع العربي ، حين تنفرد الذات بالسلطة وتختفي وراء الزعامة وتمثل تيارا من الوعي كذلك من خلال بنيتها السردية بتعدد الأصوات وتعدد الوعي لدى أصوات الرواية ، فيكون وليد مسعود هو التوازن بين عالمين متصارعين متضاربين ، عالم الحضور وعالم الغياب ؛ لتتنشطر الدلالات من هذه العوالم .

هوامش الدراسة :

1. ينظر : عبد الله إبراهيم : السرديات العربية الحديثة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2013م ، ص 197 .
2. - بول آرون ، دينيس سان جاك ، آلان فيالا ، معجم المصطلحات الأدبية ، ترجمة : محمد حمود ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1433هـ / 2012م ، ص 562 .
3. - ينظر : الجرمانى آراء عابد : اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية ، ص 313 .
4. - محمد داود : الرواية الجديدة بنياتها وتحولاتها ، دار الروافد الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2013م ، ص 236 .
5. - فرج عبد الحسيب محمد مالكي : عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة في النص الموازي) ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 1424هـ / 2003م ، ص 198 .
6. - فرج عبد الحسيب محمد مالكي : عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية ، ص 190 .
7. - محمد القاضي ومجموعة المؤلفين : معجم السرديات ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ط1 ، 2010 م ، ص 195 .
8. - باختين ميخائيل : قضايا السرد الابداعي عند دوستوفسكي ، ترجمة : جمال نصيف التكريتي ، بغداد ، العراق ، 1986 ، ص 11 .
9. - بدري عثمان : بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ ، دار الحدائث ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1986م ، ص 194 .
10. - فخري صالح : في الرواية العربية الجديدة ، ص 57 .
11. - ينظر : غالب هلسا : فصول في النقد ، ص 57 .
12. - ينظر : الجرمانى آراء عابد : اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية ، منشورت ضفاف ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1433هـ / 2012م ، ص 272 .
13. - رولان بارت : الدرجة الصفر للكتابة ، ترجمة : محمد برادة ، ص 49 .
14. - إبراهيم جنداري : الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا ، ص 136 .
15. - ينظر : آراء عابد الجرمانى : اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية ، ص 285 .
16. - غالب هلسا : فصول في النقد ، ص 77 .
17. - ينظر : فاروق وادي : ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، د.ر.ت.ط ، ص 160 .
18. - غالب هلسا : فصول في النقد ، ص 54 .
19. - ينظر : الياس خوري : الذاكرة المفقودة دراسات مقارنة ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1982م ، ص 144 .
20. - جبرا إبراهيم جبرا : الرواية البحث عن وليد مسعود ، ص 13 .
21. - فاروق وادي : ثلاث علامات ، ص 172 .
22. - جبرا إبراهيم جبرا : البحث عن وليد مسعود ، ص 11 .
23. - الرواية البحث عن وليد مسعود ، ص 110 .
24. - فخري صالح : في الرواية العربية الجديدة ، دار العين للنشر ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2010م ، ص 53 .
25. - نضال صالح : النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة ، دار الألمعية ، قسنطينة ، الجزائر ، ط1 ، 2010م ، ص 98 .
26. - الرواية البحث عن وليد مسعود ، ص 138 .
27. - فخري صالح : في الرواية العربية ، دار العين للنشر ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1431هـ / 2010م ، ص 60 .
28. - إبراهيم جنداري : الفضاء الروائي في روايات جبرا إبراهيم جبرا ، تموز للطباعة والنشر ، دمشق ، سورية ، ط1 ، 2013م ، ص 88 .
29. - فرج عبد الحسيب محمد مالكي : عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية ، ص 190 .
30. - إبراهيم جنداري : الفضاء الروائي في روايات جبرا إبراهيم جبرا ، ص 89 .
31. - ينظر : الجرمانى آراء عابد : اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية ، ص 320 .
32. - غالب هلسا : فصول في النقد ، ص 71 .
33. - غالب هلسا : فصول في النقد ، ص 71 .

